Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمُّـهُ دهـرَهـا تُتَـرْجِمُ عنـه وهْـو بـادى الغِنى عن التـرجمانِ
غـير أن ليس ينطِقُ الـدهـر إلاَّ بـالـتـزامٍ من أمـهِ واحـتضـانِ

وقد مضى يتحدث عن تأثير هؤلاء القيان بغنائهن ، وبما كن يحملن من آلات الطرب على صدورهن ، وكأنها أطفال لهن ، فهن يعانقنها وكأنما يرضعنها ، ولكن لا بلبن ، وإنما بألحان شجية تشفى المحزون من دائه ، ولكل منهن جمالها وسحرها وفتنتها وصوتها الذى يدلع الحزن والفرح جميعاً ، صوت تمده وتعلو به كما أرادت أو كما يقول فى قصيدته :

ذاتِ صـوتٍ تَهـزُّه كيف شـاءَتْ مثـلَ مـاهَـزَّتْ الصَّبـا غُصْنَ بـانِ

وقد يضيف إلى وصف مثل هذا المجلس ذكر الخمر . وقد يختار بكاء الشباب الذى طالما تغنى به الشاعر العربى ، ولكنه يعرضه عرضاً جديداً على نحو ما نرى فى مقدمة قصيدته البائية[٨٨] التى مدح بها يحيى بن على المنجم ، فقد تحدث فيها عن الشيب والخضاب ودعاه حداداً كئيباً على الشباب من شأنه أن يبكى صاحبه بدموع غزار ، ثم أخذ يصور سخرية الفتيات بخضابه باكياً الشباب بكاء لاذعاً . ويحذف المقدمة أحياناً طلباً للاختصار والوقوف عند عشرات الأبيات لا عند المئات ، وتبلغ بعض المقدمات عنده أحياناً نحو مائة بيت ، ويتفنن بعد ذلك فى المديح[٨٩] .

وإذا كنا لاحظنا أنه حاول التنويع فى مقدمات المديح ، فإننا نلاحظ أنه حاول التنويع فى المديح نفسه ؛ فإنه لم يقصره على المعانى المطروقة ، ويوضح ذلك مديحه لعلى بن يحيى المنجم فى بائيته التى أشرت إليها آنفاً ، فإنه مضى فيها يمدحه على هذه الشاكلة :

لَـوْذَعِـىّ لـه فـؤادٌ ذكـىٌّ مـا لـه فى ذكـائـه من ضَـريبِ
أَلمـعـىّ يـرى بـأول ظَـنٍّ آخـرَ الأمـر مـن وراء المـغيب
لا يـروِّى ولا يـقـلِّب كـفّـاً وأكـفُّ الـرجـال فى تـقـلـيـب
حازم الرأى ليس عن طـول تجريـ ـب لـبيـب ولـيس عـن تـلبيـب

(٨٨) ديوان ابن الرومى ١ : ١٣٨ وما بعدها .
(٨٩) انظر : العصر العباسى الثانى للدكتور شوقى ضيف ٣١٤ .